مقال مُلخّص من بحث ميداني عام ١٩٨٢م [سبتمبر - أكتوبر « أيلول - تشرين الأول »]

تنصير قبيلة الفولاني في غربي إفريقيا

بقلم : عبد الرحمن أحمد عثمان

■■ أروي لك فصلاً من قصة التنصير .. إنها رواية اتخذت من العالم كله مسرحاً لها وتعددت فيها الفصول والأبواب بتعدد قارّات العالم وأقطاره . إنه مسلسل يتعرض لدين الإنسان وسياساته وسيادته .

فعندما أعوزت الامبريالية العالمية الحيلة في الاستعمار المباشر فطنت إلى نوع من الاستعمار الجديد الذي يربط بينها وبين من تود السيطرة عليه برباط من العقيدة متين حتى يذعن عن رضى وطيب خاطر . قرأت لهم في أكثر من كتاب بلغة الهوسا .. لغة الفولاني المثقف .. تلك الأسطورة التي تقول : إن المسيح عليه السلام يسعى لوضع غنمه في زريبة ويبيت يحرسها عند الباب ، فتنام أمَّته ويبيت هو مؤرقاً من أجلها . أو هكذا يصفون المسيح بأنه راعي لهؤلاء القوم الرعاة .. « الفولاني » . هذه هي حظيرة النصرانية الضيقة التي تخطتها سعة الإسلام وسعة رحمة الله .. ■■

فعندما بدأت الامبريالية تعاني مخاض التجربة « **تجربة النزوع إلى الحرية من قبل الدول الإفريقية** » أفزعتها رياح التغيير وأضحت تخشى رياح شَبَحيْ « **الوطنية** » و « **الإسلام** » . الوطنية التي أضحت تعني عند الافريقي كراهية كل من هو أبيض - والإسلام الذي ينسجم مع تفكير الافريقي فلا يجد حرجاً في تعدد الزوجات إن رأى في ذلك ضرورة .

وإزاء هذين الأمرين سعت الكنيسة لخلق عملاء لها وأصابع تدير بها خيل الشطرنج في دائرة السياسة الدولية . ففي أفريقيا سعت إلى أفرقة الكنيسة وذلك بالتركيز على العناصر الافريقية في إدارة الكنيسة والإرساليات الكنسية والمدارس والمناصب الإدارية العليا في الحكومات الوطنية .

وتحكي لنا الوثائق التنصيرية أن قصة تنصير قبيلة الفولاني في غربي افريقيا قد بدأت منذ ستين عاماً فقد أخبرنا كثير من الرواة من بينهم الدكتور **علي أبو بكر** (دكتوراه في الثقافة العربية في شمالي نيجيريا) ، أنه وقبل ستين عاماً جاء إلى البلاد النايجيرية أحد المنصِّرين يدعى **مستر مللر** ليأخذ معه إلى أوروبا بعض أبناء الزعماء الفولانيين منهم « **توجو بايرو** » - الذي هداه الله بعد ذلك إلى الإسلام - وهو ابن أمير زاريا ، **ومعلم تفيده** الذي مات على نصرانيته في العام المنصرم .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا تلقائياً :

من هم الفولانيون ؟ ولماذا يهتم المنصِّرون بهم ؟ ومن هم المنصِّرون ؟ وما مظاهر ذلك التنصير ؟ وما هي وسائله ؟

الفولانيـون مجدٌ من دانفوديو إلى شقـارى . . .

يصف المؤرخون الفولانيين بأنهم أذكى القبائل في افريقيا قاطبة . فقد بدأت قبيلة الفولاني تظهر إلى حيز الوجود منذ عام ٨٧٠ ميلادية ، وكان موطنها آنذاك حوض نهر السنغال في **فوتا تورو و فوتا جالون** ثم أخذت تهاجر شرقاً وغرباً حتى بلغت هجرتها شرقاً الحدود السودانية الإثيوبية ، وغرباً إلى موريتانيا .. وهم قوم طوال الأجسام نحافها ، يتميزون عن جيرانهم بالبشرة الفاتحة والأنف المستقيم والشعر السبسبي إلى حد ما . وهذا الاختلاف النفسي والعقلي والجسمي سوَّغ لرواج كثير من الآراء حول أصل الفولاني .

يرى بعض علماء الأجناس الحضارية أنهم من البطون الضالة لقبيلة بني إسرائيل .. فيما يرى آخرون أنهم من بقايا رجال الامبراطورية الرومانية في شمالي إفريقيا .. وهذه النظرة لا تختلف كثيراً عن تلك التي ترى أن أصلهم مصريون ، معتمدة في ذلك على « **الطاقية** » التي يتعمم بها الفولانيون ، فالملابس الباقية رومانية الشبه ، فقد يعني ذلك أنهم من بقايا الأسرة الحاكمة من الرومانيين الذي حكموا مصر .

ويرى آخرون أنهم ربما كانوا فينيقيين ، أو أثيوبيين ، أو ربما كانوا من ملايا .

يقدر علماء الإحصاء أعداد الفولاني بما يجاوز العشرة ملايين .. والفولانيون رعاة بدو ينقسمون إلى شطرين : بدو

تنصير قبيلة الفولاني في غرب إفريقيا

خلّص ، وحضريين يعملون بالقانون والسياسة والتعليم .

وقد اهتم المنصِّرون بالبدو منهم خاصة ، وذلك لأسباب متعددة :

جهل بدو الفولاني بمبادىء الإسلام مما يسهِّل خديعتهم .

ينتشر الفولانيون على طول حزام **السافنا** الذي يعارض القارة الافريقية من موريتانيا غرباً إلى الصومال شرقاً ، وذلك لأنهم رعاة أبقار ، فهم يتتبعون هذا الحزام لتسهل عليهم عمليتا الكر والفر ، فهم يكرون في فصل الجفاف إلى الجنوب بحثاً عن الماء والكلأ ، ويفرون شمالاً في فصل الخريف خوفاً من أمراض البقر ، وذلك وقاية لأبقارهم التي يعتمدون عليها ويعتمد كثير من الأفارقة على لحومها وألبانها وجلودها . لهذا فهم لا يستقر بهم المقام ، وقد أورثهم هذا الترحال الجهل إلَّا بأبقارهم .. فلا يعلمون شيئاً عن مبادىء الدين ، وقد كتبت إحدى الوثائق التنصيرية تقول :

« **والفولاني يجهلون أساسيات الإسلام ويتجلى ذلك في غياب الممارسات الدينية في أواسط الشباب منهم لما يقع عليهم من عبء الرعي والإشراف على الأبقار . فلا يجدون إلى التعليم سبيلاً حتى إلى مرحلة متأخرة من حياتهم حيث يستطيعون البقاء بالمعسكرات وتلقي بعض علوم الدين مشافهة من السلف** .. » .

وفي تقديرنا أن هذا هو الدافع الأساسي وراء محاولة التنصير ، فقد طرحت الوثيقة المذكورة السؤال التالي : **ما الذي يجعل إخواننا اللوثريين يهتمون بالفولاني وهم مسلمون .. ومن المعروف أن المسلم التقليدي لا يغير دينه** ؟ وكانت الإجابة على هذا السؤال :

إن تجربة الفولانيين في الإسلام تختلف عن غيرها ، إذ أنهم يجهلون أسسه ومبادئه ..

لذلك فقد حاول المنصِّرون إيهام الفولاني بأن الإسلام والنصرانية لا يختلفان .. فعيسى هو ابن الله ، فعلى المسلم أن يعتقد ذلك ، وعندما تتمكن منه هذه العقيدة يسعى المنصِّرون لتمكين عقيدة أخرى هي أن المسيح ابن الله يتحمل عمن يؤمن به عناء الصيام والصلاة ، فقد استمعنا إلى هذا الكلام مشافهة ممن استطاع المنصِّرون التأثير عليهم ثم قرأناه في وثائقهم ..

والسبب الثاني : هو أن الفولانيين قوم فيهم مكونات الزعامة ، فمنهم **عثمان إنفوديو** الذي أسس امبراطورية **سكتو** وهي التي مكنت للإسلام في غربي افريقيا ، ومنهم كثير من زعماء الدول الافريقية الحالية (**رئيس جمهورية نايجيريا الاتحادية ، شيخو شقاري ، ورئيس جمهورية الكاميرون ، بل إن الأصول التاريخية ترجع برئيس وزراء السودان الأسبق السيد « إسماعيل الأزهري » إلى أصول فولانية** ..) .

والفولانيون أيضاً محبّون للعلم وعاملون على تعليمه ، فأغلب المشايخ النايجيريين والدعاة إلى الدين من الفولانيين الذين توطنوا في المدن وانقطعت الصلة بينهم وبين البدو إلى الدرجة التي لم يعودوا قادرين فيها على الكلام باللغة الفولانية .

لكل هذا أصبح الفولانيون تحت تأثير البث الإذاعي التنصيري : إذاعة صوت البشارة من أديس ابابا ، سيشيل ، قاؤوندري ، الجابون ، ومنروفيا ـ راديو إلوا ، ولكل هذه الأسماء صلة ببرامج التنصير الإذاعي .

افتتحت إذاعة صوت البشارة في أديس ابابا عام ١٩٦٣م لتبث برامج بأكثر من خمس عشرة لغة إفريقية من بينها اللغة الفولانية ، وعلى حد زعم المنصِّرين انهم قد تلقوا أسئلة عن النصرانية من أفراد فولانيين استمعوا لهذه الإذاعة ، ونتيجة لهذه الاستجابة الناجحة اجتمعت كل اللوثريات الأمريكية العاملة في غربي افريقيا « **افريقيا الوسطى ، والكاميرون ، ونيجيريا ، والسنغال ، وفولتا العليا ، بالإضافة لاتحاد الكنائس الافريقية واتحاد اللوثريات العالمية واتحاد مجمع الكنائس العالمي والكنيسة السودانية ، والفاتيكان** .. » اجتمعت هذه الكنائس على مبادىء موحدة هي : ضرورة تركيز التنصير على قبيلة الفولاني . غير أن هذه الإذاعة « **صوت البشارة** » من أديس أبابا قد تعطلت نتيجة للانقلاب الشيوعي الذي أطاح بالعصر الاثيوبي الكنسي ممثلاً في **هيلاسلاسي** وذلك عام ١٩٧٧م .

إذاعة جوس بنيجيريا . . .

ولم تكن إذاعة **جوس** بولاية بلاتو النيجيرية بديلاً مناسباً وذلك لأنها تبث برامجها التنصيرية بالهوسا والانجليزية ، والفولانيون ليسوا على علم بهذه اللغات . لذلك اتجهت الآمال إلى إذاعتي **سيشل** التي تحتاج لدعم وزيادة في عدد الذبذبات العاملة ، وراديو **إلوا** في **منروفيا** .. أما إذاعة **الجابون** فقد رصدت عربة صالون (**داتسون**) لمن ينجح في حل المسابقة الرامية لتحديد الزمن المناسب للبث التنصيري لقبيلة الفولاني ، والجدير بالذكر أن استوديوهات **قاؤوندري** بالكاميرون هي التي تزود كل هذه الإذاعة بأشرطة الكاسيت الفولانية .

والواقع أن البرامج التنصيرية لا تعتمد على البث الإذاعي إلَّا في مراحل الاتصال الأولية أو على حد تعبير المنصِّرين « **تليين الأرض للغرس والزرع والحصاد** » لذا فإن هنالك وسائل عديدة أولها :

● **استغل المنصِّرون تعلق الفولانيين بأبقارهم في عملية تنصيرهم بواسطة المنصِّرين البياطرة** .. فهم يجلبون لهم الدواء ، والعلف ، ويصلحون لهم خزّانات المياه .. والفولاني لا يتوانى في احترام كل من يحسن إلى أبقاره ، فمصل الخصوبة الذي تحقن به الأبقار يجعلها قادرة على الإنجاب السنوي ، والتهجين وخلطات العلف . تجعلها قادرة على توفير جالونين من اللبن في اليوم . « **أي ساحر عيسى الذي باسمه تنجب البقر وتعطي أكثر** » .

● **التعليم التنصــيري ... ومدارس الحكومــة ..**

إذا جاؤوا الرجل الفولاني يسألونه ابنه لكي يعلموه **سحر المسيح** في معالجة الأبقار رضي وضعف وطمع .. خصوصاً وأن الفولاني لا يرسل ابنه إلى المدرسة لأنها لا تعلمه كيف يرعى الأبقار ويعالجها . وفي هذه الحالة فإن الارساليات النصرانية أحظى له .

وفي حَضَـر **الفولاني** فإن المدارس لا يوجد بها معلم التربية الإسلامية ولا الكتاب الإسلامي ، في حين تقوم إدارة المدارس بضبط المنهج المقرر لدراسة كل من التربيـة الإسلاميـة والنصرانية على قدر وميزان ، ومعلمو التربية النصـرانية متوفرون .. ففي المدرسة التي أنشئت في ريف **جوس** يوجد معلمان للتربية النصرانية في حين لا يوجد معلم واحد للتربية الإسلامية ـ المدارس هناك تتبنى منهج الفصل للراسبين ـ وفي هذه المدرسة الجديدة يوجد ثمانية عشر طالباً مسلماً ، وطالبان نصرانيان ، ويمكنك تعميم المثال .

● **دور الحضـانة والأطفـال اللقطاء والمستشفيـات والمستوصفات والعيادات وسيلة أخرى** .. ونكتفي بهذا لكي ننقل لك تقرير لجنة التنصير بواسطة الدعوة المكشوفة ، وهي آخر المراحل التي يلجأ لها المنصِّـرون .

والتقرير الموضح هو للجنة متغيرة منحصرة في ولاية **قنقولا** شرقي نيجيريا .. لمزيد من المعلومات اتصل بنا في المركز الإسلامي الافريقي لنزودك بعشرات التقارير من هذا النوع .

تقرير لجنة العمل التابعة للمنصِّرين C.R.C.N

ولايـــة قنقـــولا « يـــولا » نيجيريـــا

باسم المسيح نحييكم ونتوجه إليكم بأطيب الأماني ..

إن لجنة التنصير التابعة لـ « **سي . آر . سي . إن** » تود أن تتقدم إليكم بالشكر على روح التعاون التي ابديتموها نحو الحملة التنصيرية التي قمنا بها في عام ١٩٨١م ، وفيما يلي التقارير التي تعكس التقدم الذي أحرزناه حتى الآن بفضل الرب ومعونته .

تقـــــرير رقم (١) الحملـــة التنصيرية أثناء عام ١٩٨١م

لقد عيَّنَّا أحد عشر منصِّراً من المنصِّرين الجدد وذلك عندما تلقينا طلبات من أهل القرى الذين عبروا عن رغبتهم في الانضمام إلى النصرانية وهنالك كنائس في جميع هذه القرى تدرس فيها النصرانية .

ولقد استقبلنا أربعين من المعتنقين الجدد الذين تحولوا إلى النصرانية وتم تعميدهم وبعضهم لا يزال يتلقى دروساً في التعميد ، أما القرويون الذين يقطنون منطقة جبل « **فالي** » فقد بدأنا بإنشاء الكنائس بينهم منذ بداية العام ، ولقد اكتمل بناؤها . والآن فإن ثمانية عشر من الوافدين الجدد إلى النصرانية يتلقون دروساً في التعميد ، وفي قرية « **جكواي** » بالقرب من جبل « **بيت** » فإن طبيباً من الأهالي ألقى حديثاً نصرانياً مؤثراً أعلن فيه قبوله للنصرانية في حضور ذويه القرويين وذلك في التاسع عشر من يوليو (تموز) ١٩٨١م . واليوم فإن عدد المعتنقين الجدد للنصرانية قد بلغ الثمانية والعشرين .

ولقد عقدنا هناك في أغسطس (آب) دورة تنصيرية مع الفولانيين ولقد حضرها فوق المائتين وخمسين فولانياً .. وفي ختام الاجتماع وزعنا أشرطة الكاسيت للوافدين الجدد حتى يتمكنوا من تعليم النصرانية لذويهم في مناطقهم الدعوية ، كما يوجد منصِّر يتجول بينهم بدراجته البخارية على سبيل التشجيع .

وكذلك فإن الفولانيين الأربعة الذين تحولوا إلى النصرانية يترددون على المدرسة الانجيلية ويتقدمون بصورة حسنة .

وفي وسط المجتمع المسلم في مدينة « **يولا** » يعمل منصِّر نصراني كان في السابق مسلماً وهو يعيش بين ظهراني هذه الجماعة بصورة سرية .

خطـــــة عملنا لعـــــام ١٩٨٢م ...

نريد أن نعين منصِّرين مستديمين في بعض القرى « **ماي** » « **هولا** » « **قندن** » « **دوتس** » إجابة للطلبات الواردة من المعتنقين والذين يقطنون هنالك منذ عام ١٩٨٠م ، ونريد إرسال بعض المنصِّرين إلى « **داكو** » بين « **بلي** » و « **قانين** » ، لأن الأهالي هناك لم يستمعوا لكلامنا حتى الآن .

ونحن الآن نحضِّر للاجتماع مع الفولانيين الذي سيعقد في مايو (أيار) ١٩٨٢م ، ولقد استلمنا بقرة هدية لتذبح أثناء الاجتماع أهداها إلينا أحد الفولانيين ، كما تلقينا تقريراً يفيد بأن عدداً من الفولانيين يرغبون الاشتراك هذا العام . كما نخطط لاقتناء قارب بخاري بين سواحل نهر قنقولا ، كما نريد أن نوظف صيدلياً بجانب المنصِّر يستخدم القارب البخاري للوصول إلى أهالي قبيلة **جوكوت** الذين يعيشون محاذين لشاطىء النهر ودعوتهم إلى النصرانية .

ومن ضمن برامجنا أن ننجز الوعد الجديد عندما تقرأ كيف حوَّل المسيح بعض الصيَّادين إلى حواريين فعلينا التأسي به قدوة .

إننا نعد بحثاً ونأمل أن نتصل ببعض أعضاء قبيلة **الكانوري** الذين يعيشون في ولاية **برنــو** وندعوهم إلى النصرانية فإن سبعة أشخاص منهم قد اعتنقوا النصرانية من بين مليونين من أفراد القبيلة .

وكما جاء في التأريخ فإن قبيلة **جوكنز** قد تعاونت مع أهل **الكانوري** في حربهم ضد **الطوارق** فنود أن نستغل هذه الخلفية التأريخية للعلاقات الكانورية الجوكونزية في عملنا التنصيري وسط الكانوريين .. وللوفاء بهذه المقترحات فإننا نطرح أمامكم الميزانية المرتقبة لتنفيذ هذه المقترحات .

إننا نتوجه إليكم بالدعوة للحضـــور والاشتراك والتعاون معنا لإنجاح هذا المشروع ، وكل من يساهم معنا لإنجاح هذا المشروع فسنعطيه وصلاً وسوف نرسل له تقرير عمل عن كل مناشطنا .

إننا نصلي وندعو لكل من يتقدم إلينا بأي تبرع مالي يستطيعه مهما كان ضئيلاً .